للعسرى، يقابل: فسنيسره لليسرى. وهذه الصفات متقابلة تقابل الليل والنهر اللذين اقسم بهما في أول السورة)[1].

وقد يعمد الدكتور السامرائي من خلال توظيف فنّ المقابلة إلى بيان سرّ الألفاظ في تقابلها محلّيا أسباب عدم تقابلها مع غيرها وحلول ألفاظ أخرى محلها تؤدي وظيفة التقابل، مراعياً في ذلك الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ من خلال منهجه الاستقرائي الذي صرّح به في بيانه الشروط الواجب توافرها في المفسرّ البياني للقرآن، ومن ذلك ما جاء ي بيانه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[2].

قال: (جاء بـ (شاكر) على صيغة اسم الفاعل، (كفور) على المبالغة، ذلك أن الإنسان يبالغ في الكفر دون الشكر، ولم يقل ﴿إِمَّا شَكوراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾، ذلك أن الشكور من العباد قليل، قال تعالى: ((**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**))[3]، ولو قال ذلك لأخرج الشاكرين... ثم أنه لم يقل (كافراً) لأمر آخر ذلك ان القران لم يستعمل كلمة (كافر) بمقابل (شاكر)، وإنما يستعملها بمقابل (مؤمن)، قال تعالى: ((**فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**))[4]، بخلاف كلمة (كفور) فانه يستعملها لما يقابل المؤمن ولما يقابل الشكور[5].

(1) على طريق التفسير البياني: 133/1 – 134
(2) الإنسان: 3
(3) سبأ: 13
(4) التغابن: 2
(5) على طريق التفسير البياني: 159/1 – 160



## الفصل الثالث

# الاتجاه الموضوعي البنيوي

# الاتجاه الموضوعي البنيوي

د. محمود البستاني

بعد قراءة متأنية مدققة لتفسير الدكتور محمود البستاني وصل البحث إلى انه لا يوجد اتجاه نقدي قد سار عليه المفسر غير أنه اقرب من الاتجاه الموضوعي البنيوي وإن كان هذا الاتجاه النقدي لم يبلغ الشهرة وسعة الانتشار مثل ما بلغ شقّاه من الشهرة (البنيوية – الموضوعية) وإن هذا الاتجاه هو اتجاه جديد أفرزه البحث التحليلي في شعر السياب للباحث الدكتور عبد الكريم حسن. وهذا ما يراه من تميز المناهج النقدية الحديثة عن منهج أرسطو حيث يقول ((كان أرسطو ينطلق من العام إلى الخاص في حين ينطلق الدارسون الحديثون من الخاص إلى العام، أعني دراسة النصوص وتحليلها إلى تحديد (النوع) الذي يعطيها خصوصيتها))[1].

ويرى البحث أن الدكتور البستاني في تفسيره البنائي للقرآن الكريم قد تطابق بشكل أو بأخر مع هذا المنهج ولم نصف تفسير الدكتور البستاني بأنه منهج موضوعي بنيوي وإنما قلنا الاتجاه الموضوعي البنيوي لأنه كما ذكرنا سابقاً إن من يتمثل منهجاً ما أو يختط له منهجاً يجب أن يرتب بحثه وموضوعة على وفق هذا المنهج بكل تفاصيله ودقائقه ووفق حقلٍ معرفي خاص أما الاتجاه فهو ليس بالضرورة تبني المنهج المذكور وإنما هناك ملامح وشواهد تتطابق مع بعض مفردات ومتبنيات هذا المنهج أو ذاك[2].

ويبدو أن الاتجاه متحقق في تفسير الدكتور البستاني باتجاهيه الموضوعي والبنيوي حيث أنه موضع السور وبحث في الموضوع وكان يهدف من خلال ذلك إلى اكتشاف الروابط ما بين الموضوع الرئيس والمواضيع الأخرى المتموضعة في السورة ذاتها هذا بالنسبة للشق الأول من هذا الاتجاه أما البنيوي فإنه قد اكتشف البنية التي تتشابك

(1) الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب، د. عبد الكريم حسن، ص 13
(2) أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره: محمد مصطفوي: 28–30

فيها هذه الموضوعات، والموضوع بحد ذاته كما يراه ((Jean pierre Richard)) وهو من المهتمين بالمنهج الموضوعي وأحد أساتذة السوربون بأنه مبدأ تنظيمي محسوس، أوديناميكية داخلية، أو شيء ثابت يسمح لعالم حوله بالتشكل والامتداد وأن هناك علائق وتطابقاً خفياً يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة[1] والنص القرآني بحقيقته مؤلف من سور وهذه السور قد ألفت من آيات، لهذه الآيات خصوصية معينة من حيث تناسب بعضها مع بعضها الآخر أفرزت كل مجموعة من الآيات المتناسبة سورةً ما حملت اسماً معيناً وموضوعاً معيناً هذا الموضوع الرئيس للسورة قد أفرز موضوعات ثانوية احتوتها السورة تحمل هذه الموضوعات السمات العامة للسورة، هذه الموضوعات هي الأخرى حملت موضوعات فرعية وبهذا نكون قد حصلنا على شبكة من الموضوعات في السورة الواحدة وانطلاقاً من هذا المبدأ و)) لكون القرآن قد أنتظم في (سور) ولم يكن مجرد آيات أملتها مناسبات خاصة وعندما تنظم مجموعة من الآيات في سورة خاصة فلا بد حينئذ من أن تكون لهذه الآيات خصوصية من حيث تناسب بعضها مع الآخر، وإلا لم تكن هناك ضرورة بأن يأمر النبي (ص) كتاب الوحي بان يضعوا هذه الآية أو تلك في السورة الفلانية أو بجانب الآية الفلانية، كل ذلك يعني أن وضع الآيات في سورة خاصة وتحديد مكان الآية في السورة أو الآيات الأخرى، كل ذلك يعني أن السورة هي هيكل أو بناء قد خطط بدقه وإتقان))[2].

وهذا ما عملت النظرية البنائية على إيجاده حيث ظهرت هذه النظرية ممثلة تجليات تلك الرؤية، فبدأت من الأدب ومدارس النقد الأدبي لتنطلق إلى تأسيس بناء معرفي يسعى إلى تفسير كل الوقائع في هذا العالم على أساس هذه الرؤية الشاملة[3].

فالبنيوية بحد ذاتها هي ((ظاهرة فكرية تجمع بين عنصري (التحليل) القائم على استخراج عناصر مشتركة من مجموعات مختلفة قائمة و(التأليف) القائم على تكوين مجموعة جديدة من هذه العناصر بحيث لا يعود أي من هذه العناصر إلى وظيفته الأصلية))[4] أذن المنهج البنيوي ينطلق من مفهوم البنية ((بنية النص الأدبي التي

(1) ينظر: الموضوعية البنيوية: 32
(2) التفسير البنائي: 7/1
(3) ينظر: النظريه البنائه د-صلاح فضل: دار الشؤون الثقافيه العام بغداد 1987، 210
(4) ينظر: التحليل النقدي والجمالي للأدب: عناد عزوان: 85



تتشكل من عناصر وعلاقات، تشكل مستويات تراتبية إذ ينبني كل مستوى من مجموع وحداته، والقواعد التي تربط بينها، وكل وحدة من وحدات المستوى الأدبي تصبح عنصراً مكوناً في وحدة المستوى الأعلى))[1] والبنية موضوع منتظم له صورته الخاصة ووحدته الذاتية لان كلمة (بنية) في أصلها تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ويتحدد من خلال علاقته بما عداه[2]. فالعلاقات القائمة ما بين مفردات النصوص هي الأساس الذي انبنى عليه هذا المنهج حيث أن ((البناء لا يمكن له الاستقامة والثبات ما لم يكن هناك تضامن بين أجزائه وعلى هذا الأساس فإن البنية هي ما يكشف عنها التحليل الداخلي لكل ما، والعناصر والعلاقات القائمة))[3] ((والبنيوية معجمياً مشتقة من النص اللاتيني (struers) وهي طريقة إشارة بناء أو هي تناسق أقسام البناء من حيث التقنية المعمارية والجمال التشكيلي))[4] وبذلك يتجلى المنهج البنيوي في أولويات اهتمامه بالتركيز على النص الأدبي وحده من دون أن يفرد جهده إلى ما هو خارج أسوار وإطار النصوص الأدبية. وتربط البنيوية النص في رباط ممتد من العلاقات المتداخلة حتى وكأنها تطبيق لمقولة مالا رميه (ان الكتاب امتداد كامل للحرف)[5] أي أن دراسة النص دراسة داخلية يعني النظر إليه على أنه وحدة كلية مستقلة تهتم بالعلاقات بين الأشياء وهذا ما عرف بـ (قانون الإيمان البنيوي)[6] وهناك كذلك انطلاقات ينطلق منها المحلل البنيوي ((ليكشف عن دلالة النص وبنية منها: التقابلات الثنائية وهي وحدة من إجراءات المنهج في قراءة النص الأدبي: من قبيل الحياة والموت والروح والجسد والخير والشر والسامي والوضيع والبعيد والقريب... الخ))[7] وبهذا يمكننا أن نقول إن مهمة هذا الاتجاه من الاتجاهات النقدية المعاصرة قد تنحصر في بناء نظرية

(1) مبادئ النقد ونظرية الأدب، ج1، مبادئ النقد: الدكتور رضوان القضماني والدكتور جودت ابراهيم، دمشق، 98-99، ص 102
(2) ينظر: البنيوية بين النظرية والتأسيس: ثامر المصاروه: 4
(3) ينظر: التحليل النقدي والجمالي للأدب: عناد غزوان: 85
(4) البنيويه: جان ماري أوزياس وآخرون، ت ميخائيل ابراهيم مخول: دمشق 1972، 12
(5) ينظر: الخطيئه والتكفير: 32
(6) ينظر: التحليل النقدي والجمالي للأدب: 86
(7) الخطاب النقدي حول السياب: 205

تحدد بنية النص الأدبي الغرض منها الكشف عن جماليات النص يرى المتتبع والباحث في هذا الشأن أن هناك تداخلاً وتشابكاً يجعل من الصعب تحديد تعريف واضح للبنيوية تجمع عليه العلماء والنقاد حتى بدا وكأنه تصورا ذهنيا يستحيل تبيانه[1] إلا ان هناك من أنبرى لتوضيح الفكرة وقدمها بشكل جامع مانع يكاد يشفي غليل المتطلعين إلى تعريف محدد للبنيوية حيث قدّم جان بياجيه ميزات ثلاث تتألف منها البنية[2] وهذه الميزات هي الأساس الذي تستند عليه النظرية البنيوية وهي الكلية (الشمولية) والتحويلات والتنظيم الذاتي.

## أ- الكلية (الشمولية)

ومعناها أن البنية تتألف من عناصر داخلية متماسكة بحيث تصبح كاملة في ذاتها وليست تشكيلاً لعناصر متفرقة، وإنما هي خلية تنبض بقوانينها الخاصة التي تشكل طبيعتها وطبيعة مكوناتها الجوهرية، وهذه المكونات تجتمع لتعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كل واحدة منها على حدة، ولذا فالبنية تختلف عن الحاصل الكلي للمجموع لأن كل مكون من مكوناتها لا يحمل الخصائص نفسها إلا في داخل هذه الوحدة، وإذا خرج منها فقد نصيبه من تلك الخصائص الشمولية.

## ب - التحويلات (Trans formation)

ومعناها أن البنية ليست ساكنة سكوناً مطلقاً، وإنما هي خاضعة للتحولات الداخلية مثلما تخضع الأرقام على سبيل المثال لهذا التحول، فالمجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتيه، تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق أو المنظومة، خاضعة في الوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية، وتبعاً لذلك فالبنية غير ثابتة، وإنما هي دائمة التحول وتظل تولد من داخلها بناءات دائمة التوثب.

(1) ينظر: الخطيئه والتكفير/32

(2) ينظر: البنيويه: جان بياجيه ترجمة: عارن منيمنه وبشيراوبري، منشورات عويدات بيروت ط 2 ص 8 والحقيقة الشعريه على ضوء المناهج النقديه المعاصرة: د. يشير تاوريريت عالم الكتب الحديث ط1، 2010 30-31



## ج - التنظيم الذاتي (Auto - reglage)

ويعني أن للبنية القدرة على تنظيم نفسها مما يحفظ لها وحدتها، ويضمن لها البقاء ويحقق شكلاً من الانغلاق الذاتي، والبنية بهذا التصور لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها، والجملة لا تحتاج إلى مقارنتها مع أي وجود عيني خارج عنها. لكي يقرر مصداقيتها، وإنما تعتمد على أنظمتها اللغوية الخاصة بسياقها اللغوي[1].

ويبدو لنا مما ذُكرنا من أراء حول البنيوية أن هذه الآراء يجمعها قاسم مشترك وأساس أسس عليه هذا المنهج وهو النظر وفهم العلاقات الداخلية التي يتكون منها النسق أو النظام ومن خلال هذه العلاقات يصل المتلقي إلى فهم وتذوق هذا النص. وإن الدكتور البستاني قد اعتمد هذه الرؤية في تفسيره حيث ركز على هذه العلاقات بمستوياتها المختلفة من عمودية وأفقية ومقطعية وغير ذلك ما سنذكره، ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن القرآن الكريم قد استعمل هذا الأصل أكثر من عشرين مرة على صورة الفعل ((بنى)) أو الأسماء ((بناء)) و((بنيان)) و((مبنى)) ولكن لم ترد فيه ولا في النصوص القديمة كلمة ((بنية))[2]. إلا انه وردت في كتب القدماء من اللغويين العرب حيث كان رأيهم أنه الهيكل الثابت للشيء، فتحدث النحاة عن ((البناء)) مقابل الأعراب كما تصوروه على أنه التركيب والصياغة، ومن هنا جاءت تسميتهم للمبني للمعلوم والمبني للمجهول[3]. وقد ذكر ابن منظور في لسانه أن مرجع كلمة ((بنية)) مشتقٌ من الفعل الثلاثي (بنى) وتعني البناء أو الطريقة وكذلك تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء أو الكيفية التي شيد عليها[4].

وانطلاقاً من هذا المعنى وبناءً عليه وعلى ما ورد من ملامح وتوجهات أصلها السلف ممن تعاطى مع النص القرآني والتي سنذكرها لاحقاً، أقول من هنا بدأ الدكتور

(1) ينظر: البنويه، جان بياجيه، ص 8-16، والخطئيه والتكفير عبد الله الغذامي، ص 3، وينظر الحقيقه الشعريه على ضوء المناهج النقديه المعاصرة والنظريات الشعريه دراسة في الأصول والمفاهيم: د. يشير تاوريريت: 31، وينظر: مناهج الدراسات الأدبية الحديثه، عمر محمد الطالب:، ط: 1988، 220

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤادعبد الباقي/القاهرة 1378هـ ص 136

(3) ينظر: النظريه البنائيه: د. صلاح فضل: 120

(4) ينظر: لسان العرب لابن منظور، المجلد التاسع، ط1، دار صادر للنشر بيروت، البنيويه بين العلم والفلسفه: عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، مصر د.ط 1989، ص 8

البستاني بدراسة للنص القرآني على وفق الرؤية البنائية والتي أرادها أن تكون باسمه والريادة تكون له لا لغيرة حيث يقول ((أن الدراسات التي تناولت القرآن الكريم لم تتوفر على دراسة سورة من حيث العمارة التي تنظم السورة الكريمة، أي لم تتناول السورة بصفتها مجموعة من الآيات التي ترتبط إحداها مع الأخرى، مع أن المسوغ لمثل هذه الدراسة يفرض ضرورته على المعنيين بشؤون القرآن الكريم))[1] وأورد في سياق كلامه بعض الموجبات لذلك من انتظام آيات القرآن في سورة، وخصوصية هذه الآيات في تناسبها مع بعضها البعض وإن السورة القرآنية هي هيكل أو بناء قد خطط له بدقة وإتقان[2] ويذكر بعد ذلك ((أن هذه الأسباب وغيرها تجعل لمعرفة أو لدراسة السورة القرآنية من حيث كونها عمارة خاصة ترتبط آياتها وأفكارها وموضوعاتها بعضها مع الآخر أهمية خاصة))[3] ثم يأتي في حديثهِ على الآلية التي تم بها قراءة القرآن على وفق هذا الاتجاه فيقول ((إن تناول السورة القرآنية الكريمة من حيث عمارتها يتم على وفق أسلوبين أحدهما الوقوف عند السمات الفكرية أو الموضوعية التي تربط الآيات بعضها مع الآخر، والثاني: الوقوف عند السمات (الفنيه) أيضاً، أي ملاحظة مجموع السورة من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثم علاقة كل آية بما سبقها ولحقها من جانب ثانٍ))[4]. ويذكر بعد ذلك ملاحظة العناصر القصصية واللفظية والصورية والإيقاعية وغيرها من العناصر ويجعل منها المائز الملحوظ بين الدراسة الفنية وغيرها[5] وهذه الدراسة لم تكتف بهذا الجانب بل اعتمدت كذلك السمات الفكرية حيث لا يمكن الفصل ما بينهما وهذا من صميم عمل المنهج الموضوعي البنيوي حيث أن النشاط الفكري البنائي لم يكتف فقط بالشكل بل يسعى جاهداً إلى معرفة الممكن من المعنى فضلاً عن معرفة الوسائل التي يتبعها للوصول إليه[6] ((باعتبار أن محتوى المعاني لا يمكن أن يستنفد))[7] وبذلك

(1) التفسير البنائي: 7/1
(2) المصدر نفسه
(3) المصدر نفسه: 8
(4) المصدر نفسه
(5) التفسير البنائي: 8
(6) ينظر: النظرية البنائية: د. صلاح فضل/141
(7) المصدر نفسه



اعتمد البستاني في إبراز (الوحدة العامة) التي رآها من زوايا متنوعة وقسمها على وفق النقاط الآتية:

1- من حيث الموضوعات والأهداف. فالسورة عند البستاني لا تتعدى أن تأخذ أحد ((الأبنية)) كما سماها من حيث علاقة موضوعاتها بالأفكار:
أ- وحدة الفكرة ووحدة الموضوع.
ب- وحدة الفكرة وتعدد الموضوع.
ج- وحدة الموضوع وتعدد الفكرة.
د- تعدد الفكرة وتعد الموضوع.

2- أما من حيث الأشكال فأن سور القرآن تتخذ أحد الأبنية الآتية:
أ- البناء الأفقي وهو أن تبدأ السورة بموضوع وتختم بالموضوع ذاته يتخللها مواضيع ذات أغراض متعددة تجتمع مع الموضوع الرئيسي المحوري بالهدف نفسه.
ب- البناء الطولي وهو أن تبدأ السورة بموضوع تتدرج في عرضه حتى تُختم بالموضوع نفسه.
ج- البناء المقطعي وهو أن تعرض السورة جملة من الموضوعات تنتهي كل واحدة منها بآية أو أكثر تتكرر في المقاطع جميعاً مثل: ((**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**))[1].

3- ومن حيث العلاقات فأن السورة تتخذ واحدة من العلاقات: إما سببية: ويقصد بها أن الموضوعات في السورة تأخذ ترتيبها على نحو السببية بحيث يكون الموضوع (سبباً) للاحقة ومسبباً عن سابقه أو علاقة نحو أي أن الموضوع ينتقل ويتحول ويتطور من مرحلة إلى أخرى حتى يصل إلى نهاية نحوه.

وهناك علاقة تجانس أي ان كل عنصر من عناصر النص يتجانس مع الآخر ويقصد بذلك تجانس الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات الفنية المستخدمة لعنصر القصة والصورة والإيقاع وغير ذلك.

(1) الرحمن: 13

اذ أن هذه العلاقات ما بين مستويات النص القرآني هي التي تنتظم عمارة السورة الكريمة حيث يرى الدكتور البستاني أن كل سورة تتخذ لها شكلاً خاصاً من العمارة التي تتناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النص[1] لأنه يعتقد وبشكل عام أن ((العمارة التي يقوم النص الأدبي عليها بصفته مجموعة من الأفكار والموضوعات التي تخضع لتخطيط خاص في صياغتها من حيث ارتباط كل جزء منها بالأخر ثم تجانس العناصر اللفظية والإيقاعية والصورية وتجانسها مع الموضوعات والأفكار المشار إليها. وهذا يعني أن النص الأدبي هو وحدة فنية تنتظمها مجموعة من الموضوعات والأساليب، تخضع لهيكل خاص من الصياغة))[2].

وبهذه الكيفية والرؤية يمكن القول إن الدكتور البستاني قد حددَّ المدخل المنهجي العلمي النظري لهذا المشروع في دراسة النص القرآني دراسة بنائيه، لذا فأن المنهج البنائي عنده هو ((دراسة النص القرآني من خلال (السورة) بضمنها (وحدة) لغويه لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تترابط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر))[3] ولنا بعد ذلك أن نتساءل ما الذي حدا بالدكتور البستاني أن يسلك هذا المنهج وهو سؤال قد طرحه على نفسه، وأحال الإجابة عليه إلى أخبار نقلية وردت عن الرسول الأكرم (ص) حيث أن ترتيب المصحف توقيفي بحسب أمر الرسول الأكرم (ص) مما يؤكد أن ثمةَ أسراراً تكمن وراء هذا الانتظام وهذا ما يحاول المنهج البنائي توضيحه، فضلاً عن أنه يرى أن ما تعامل به السابقون في قراءة النص القرآني على وفق القواعد البلاغية قد لا يرتقي إلى المراد من فهم القرآن لان هذه القواعد البلاغية حسب ما يراها أصابتها عيوبٌ كثيرة وذلك لقصورها في استيعاب جوانب مهمة تبقى بعيدة عن نظر الباحث أو المفسر لا النظرة الجزئية تكون هي المطلب إذ

(1) التفسير البنائي: 8-10

(2) الإسلام والفن: د. محمود البستاني مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر بيروت ط1وينظر كذلك البلاغة الحديثه في ضوء المنهج الإسلامي 1992 92-93 دار الفقه للطباعة النشر، 1424هـ، 65

(3) المنهج البنائي في التفسير: د. محمود البستاني. دار الهادي للطباعة (بيروت) ط1 2001، ص 13 ويمكن النظر في المنهج البنائي أو العضوي في تفسير القرآن بحث في مجلة قضايا إسلامية معاصرة، تصدر عن مؤسسة الرسول الأعظم، إيران، العدد الثاني الخاص بمناهج المفسرين



تتناول المفردة أو الجملة أو الفقرة ولا تتجاوزها ((علماً بأن النص الأدبي لا تنحصر جماليته في فقرات أو آيات مستقلة بل في كونه جملاً أو آيات يرتبط بعضها مع الآخر ويخضع لهندسة خاصة من حيث تنسيق الأفكار والمواقف))[1] لأنه ومن خلال ملاحظته للدراسات التفسيرية قديماً وحديثاً سواء كانت تفاسير عامة أو تفاسير فنية ((إنها إما أن تتناول السورة الكريمة من خلال الدارسات (التجزيئية) للآيات بحسب تسلسلها في السورة، أو تتناول الدراسة (الموضوعية) للظاهر المتضمن فيها. وكلتاهما لا تتناول السورة بما أنها نص تترابط وتتناغم آياته ومقاطعه وموضوعاته وعناصره وأدواته فيما بينهما، خلا بعض الإشارات العامة إلى العلاقة بين بعض الآيات أو الموضوعات مع البعض الآخر، تحت مصطلح من نحو (النظم) كما هو ملاحظ في الدراسات القديمة وهي أشارات جزئية - كما قلنا - لبعض المواقع من النص))[2] ومن هنا أنطلق الدكتور البستاني في رؤية جديدة وذلك من خلال تسخير المفاهيم والقواعد البلاغية التي ألفها إلى واقع جديد خرج فيه ما بين ((المفهومات الحديثة للبلاغة والمفهومات القديمة التي تمثل طابعاً مشتركاً بين ما هو معاصر من جانب، وما بين ما هو في الواقع مبادئ مشتركة تصلح لكل جيل من جانب آخر))[3]، وهو بذلك أصبح متطابقاً كلياً مع الرؤى البنيوية المختلفة في تعاملها مع النص عندما قسم البلاغة إلى عناصر ثمانية هي (العنصر الموضوعي) و(العنصر الفكري) والعنصر اللفظي والعنصر الدلالي والعنصر الصوري والعنصر الإيقاعي والعنصر التشكيلي والعنصر البنائي[4] ومن الملاحظ أن هذه الرؤية التي قدمها الدكتور البستاني وإن كانت بثوب جديد واسم جديد وبمفاهيم أكثر نضجاً لم تكن الساحة الإسلامية القديمة خالية منها إلا أنها قد وردت بأسماء مختلفة منها (النظم، النظائر، المناسبة أو علم التناسب) والمناسبة وعلم التناسب أكثر هذه الأسماء قرباً من رؤية الدكتور البستاني وإن كان هناك بعض الباحثين من عدَّ نظرية النظم. عند الجرجاني هي مفتاح

(1) البلاغه الحديثه في ضوء المنهج الأسلامي، د. محمود البستاني. دار الفقه للطاعه والنشر 1424هـ، 10

(2) التفسير البنائي: الدكتور البستاني، بحث منشور في مجلة قضايا اسلامية معاصرة، بغداد، العدد40، ص 25

(3) دراسات في علوم القرآن الكريم: د. محمود البستاني: 389

(4) المصدر نفسه: 389

وأساس للنظرية أو المنهج البنيوي الحالي[1]. وقد وردت المناسبة بين الآي والسور والاهتمام بها في تراثنا كثيراً ففي (برهان) الزركشي مقتطفات وردت نفسها في الإتقان للسيوطي تدل على قدم الاهتمام بهذا العلم وأقدم إشارة وردت منسوبة إلى الأمام أبي عبد الله بن محمد زياد النيسابوري الشافعي المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وهي مروية عن أبي الحسن الشهرباني قال ((أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره، هو الشيخ الأمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والآداب وكان يقول على الكرسي إذا قريء عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ أو ما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة))[2] وفي هذا الشأن قال أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين) ((ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم))[3] ويقول كذلك ((الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكمله لما قبلها، أو مستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السورة يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له))[4]. وقد تكلم الزركشي بشكل تفصيلي عن علم المناسبة وذكر ذلك جلياً في كتابة البرهان من حيث مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها[5].

ومناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها[6] ومناسبة السورة للحرف الذي بُنيت عليه كما ورد في سورة ق[7] وكذلك المناسبة بين السورة وأسمها[8] ثم جاء بعد ذلك السيوطي وسار على هدي الزركشي في تأليف كتابهِ (تناسق الدرر في تناسب السور)

(1) البنويه من منظور الجرجاني: محمد يوب بحث منشور على الأنترنت في شبكة صوت العربية

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم، دار الفكر بيروت، لبنان ط3 1980، 36/1، وينظر: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: محمد خطابي: 166

(3) ينظر: المصدر نفسه

(4) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 166

(5) ينظر: البرهان: 185/1

(6) ينظر: المصدر نفسه: 38/1 و186

(7) ينظر: المصدر نفسه: 169/1

(8) ينظر: المصدر نفسه: 270/1 – 271



مؤكداً أن ((القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لأجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها))[1] وهو بذلك قد درس الجانب العلاقي وحالة الترابط ما بين سور وأي القرآن الكريم ولم يقتصر هذا العلم على ما ذكرنا بل ورد على لسان آخرين مثل ابن حزم الأندلسي وأبي بكر العربي وأبي إسحاق الشاطبي وغيرهم من خلال النظر الى بنائية القرآن ولكنها كما أسلفنا قد جاءت دراستهم للنص القرآني بعناوين أخرى مرةً الترتيب ما بين الآي والسور ومرةً الاتساق وأخرى المعمارية أو البنائية مباشرةً[2]. إذن هذه الرؤية الموضوعية البنيوية التي تبناها الدكتور البستاني لم تكن خافيه عن أنظار السابقين لا بل حتى اللاحقين حيث أن هذا المفهوم كان حاضراً أمام أعين البعض منهم من المهتمين بالشأن القرآني ومن أعظم وأحلى ما كتب حول بنائيه القرآن تلك الورقات الوضيئة التي كتبها الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم ((النبأ العظيم)) ونقرأ له في ثلاث فقرات نرى فيها تعبيراً واضحاً عن إدراكه العميق لهذه البنائية يقول رحمه الله تعالى: ((فلوا أنك نظرت إلى هذه النجوم))[3] عند تنزيلها... فرأيتها وقد أعد لكل نجم منها ساعة نزوله سياجٌ خاصٌ يأوي إليه سابقاً أو لا حقاً، وحُدد له مكان معين داخل السياج متقدماً أو متأخراً، إذن لرأيت من خلال هذا التوزيع الفوري أن هناك خطة تفصيلية شاملة قد رُسمت فيها مواقعُ النجوم كلها من قبل نزولها، بل من قبل أن تخلق أسبابها وأن هذه الخطة التي رُسمت على أدق الحدود والتفاصيل قد أبرمت... العزم والتصميم... فما من نجم وضع في سورة ما ثم جاوزها إلى غيرها، وما من نجم جعل في مكان ما من السورة آخراً ثم وجد عنه أبد الدهر مصرفاً ومتحولاً))[4] ويقول رحمه الله تعالى: ((أقبل بنفسك على تدبر هذا النظم لتعرف بأي يدٍ وضع بنيانه، وعلى اي عينٍ صنع نظامه... ولسوف تحسب أن السبع

(1) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، تح: عبد القادر أحمد عطار، ص 48

(2) ينظر: بنائية القرآن المجيد دعامه من دعامات الختم بحث منشور في مجلة حراء العدد 17، اكتوبر، ديسمبر، 2009، أ. د. أحمد عبادي، ص 46

(3) اي الآيات: حيث أن أمر هذه الآيات توقيفي فآيةٌ توضع في صدر السورة الفلانية وأخرى يؤمر بأن توضع في ختامها أو ختام سورةٍ أخرى وثالثه تأخذ جانباً من سورةٍ مضت منذ حين وهلم جرا.

(4) النبأ العظيم: 150 –151

الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجوماً، أو لتقولن انها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدّرت أبعاده ورُقمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً، فلم تلبثُ كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عادَ مرصوصاً يشدُ بعضه بعضاً كهيئته أول مرة))[1] ثم قال رحمه الله: ((ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضوعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمات عند المفصل، ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب، كما يشبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب... كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية))[2].

وبحسب هذه الرؤية التي توافر عليها الدكتور دراز في التماس أوجه الاتساق والارتباط والانسجام في النص القرآني، وصولاً إلى ما يظهر أن النص بناءٌ محكم ونسيجٌ قائم بذاته تنتفي فيه صفة العبثية في ترتيب أجزائه، وأنه قائم على أساس علاقات رابطه وقواعد تسوّغ هذا الفهم وتدفع إلى إثبات حقيقة بنائية النص القرآني هي الرؤية نفسها التي وجدت عند الدكتور البستاني بوصفها مفهوماً معاصراً وقدمها بصيغة (المنهج البنائي) المحاكي والمماثل للمنهج البنيوي في الدراسات الأدبية الحديثة ومن خلال ما تقدم وفي ضوء هذه المعطيات التي حملت الفهم البنائي قد تأثرت بها ودفعته إلى تبني هذه الرؤية ودراسة النص القرآني في ضوئها.

إذ أن النص القرآني باختلاف موضوعاته وتراكيبه وتنوع محاوره يبقى ملازماً لتلك الحالة الترابطية في مجالاته المتعددة والمتباينة، فيحس القارئ من خلال ذلك ((بأثر إجمالي (مركب) من أفكارها الرئيسية والثانوية والعرضية والطارئة قد نسجها (التداعي/الذهني) أو (التضاد) أو (التماثل) أو الآليات النفسية الأخرى التي تتشابك لتصوغ الأثر المشار إليه، وبهذا يفترق التناول للسورة من خلال عمارتها العامة عن

(1) المصدر نفسه: 155/154
(2) المصدر نفسه: 155



التناول لبعض آياتها أو مقاطعها))[1] لأن السورة في رأيه ووفق هذا المعطى والاتجاه ((من حيث تشابك وتلاحم وتناغم موضوعاتها وعناصرها تفرز أثراً خاصاً يختلف بطبيعة الحال عن الأثر جزئياً))[2] إذ أن لكل منحىً أسلوبي في التعامل مع القرآن معطياته الخاصة به فعندما تقف عند آية أو آيات تتحدث عن الإنفاق أو تتحدث عن الجهاد أو تتحدث عن الإبداع الكوني فأنها تعطي معناها دون أدنى شك ولكن هذا المعنى يأخذ بعداً آخر عندما يتاح لنا أن نقف عند هذه الظاهرة جميعاً (الإنفاق، الجهاد، الإبداع الكوني) من خلال تشابكها في سورة واحدة تأخذ بناءً معيناً خاصاً[3] ويعزو ذلك إلى الجانب النفسي إذ أن بعض مدارس النفس الحديثة تذهب إلى هذه الوجهة من أن ((إدراك الأشياء يتم من خلال (كل) وليس من خلال (جزء) يستوي في ذلك، أن يتم الإدراك بالشكل من خلال (جزيئاته) أولاً ثم الانتقال إليه أو من خلاله أولاً ثم الانتقال إلى (جزيئاته)، وفي الحالتين ثمة إدراك لا ينفصل (كله) عن (جزئه) ولا (جزؤه) عن (كله)))[4] أي أن تحقيق الإثارة المطلوبة تكون منجزة من خلال التلقي الكلي للنص وليس من خلال كل آية منفردة عن الأخرى... وإن كانت هناك فائدة من خلال قراءة الآية بمفردها إلا أن فائدتها تكون جزئية بخلاف الإفادة العامة التي تُنتجُ من خلال قراءة السورة بكاملها إذ أن ارتباط الآيات بعضها مع بعضها الآخر يقضي بنا إلى أن نتلقى معرفة خاصة تختلف دون أدنى شك عن معرفتنا بجزيئات هذه السورة الكريمة[5]. ويسوق لذلك مثالاً بجسم الإنسان وبنائه وعمارته فهو مؤلف من عدة أجهزة جسمانية (كالعين والأذن والأنف وغير ذلك فالمعرفة الجزئية بواحد من الأجهزة تكون قاصرة عن المعرفة الكلية بالبدن وبخط تركيبة هذه الجزئية من حيث ارتباط بعضها مع الأخر.

فهذه المعرفة الجزئية تأخذ دلالات اكبر وأوسع عندما تكون ضمن المجموع الكلي.

(1) المنهج البنائي في التفسير: 16
(2) منهج التعامل مع القرآن حوار مع الدكتور البستاني ضمن (قضايا أسلامية معاصرة) في عامها الثالث: 35
(3) ينظر: المصدر نفسه: 38
(4) دراسات في علوم القرآن الكريم: 453
(5) المصدر نفسه: 454

وبهذا المثال المراد أن يوضح للمتلقي ((بأن القرآن الكريم من حيث أعجاز سوره المبتنية على وحدة هندسية تماثل تماماً ما نلاحظه في وحدة الأجهزة البدنية عند الإنسان))[1].

إذ أن كل جزء يأخذ ويؤدي ((وظيفة خاصة من جانب وتتواشج وتتواصل هذه الجزئيات فيما بينها لتؤدي وظيفة عامه من جانب آخر))[2].

وهذا قريب ما أقترحه رولان بارت تحت فكرة (الفحص الاستبدالي) إذ أن ((حركة الاستبدال تمس البنية كلها، فتغيير أحدى الكلمات ينجم عنه تغيير وظائف الأخريات في البنية نفسها))[3]. ويمكن لنا ان نلحظ ذلك من خلال تفسيره (التفسير البنائي للقرآن الكريم) إذ ابرز الوحدة العامة التي تحكم السور القرآنية وأخذ ينظر إلى هذه الوحدة وفق الرؤية البنائية التي يراها كما ذكرنا من زوايا متنوعة: من حيث الموضوعات والأهداف والأفكار ومن حيث الأشكال وكذلك من حيث العلاقات[4].

وعلى ما يُرى فإن سورة البقرة السورة المدنية الطويلة قد احتوت أغلب هذه الرؤى حيث تعددت الموضوعات والأفكار ((إلا أنها صيغت وفق عمارة محكمه، تترابط فيها الموضوعات وتتنامى على نحو ممتع ومدهش، فضلاً عن بنائها العضوي المتمثل في توظيف عناصرها القصصية والصورية لإنارة الأفكار التي تنتظمها. وهذا من حيث الهيكل الخارجي للسورة أما الهيكل الداخلي لها، فيمكن تقسيم ذلك إلى أقسام (رئيسة) كل واحد منها يتضمن (مقاطع) ثانوية، وكل من الخطوط الرئيسة والثانوية تتلاقى من خلال شبكة تنتظمها جميعاً مع ملاحظة أن هناك عشرات من الظواهر أو الموضوعات أو الأفكار تجد لها مكاناً تدلف إليه ضمن هذه الخطوط وفق منحىً فني

(1) المصدر نفسه: 456
(2) المصدر نفسه: 457
(3) الخطيئة والتكفير: 38، ويضرب لذلك مثلا بتغير وظيفة (ضرب) في جمل ثلاث فحينما تقول ضرب صالح محمداً، فقد حددت وظائف هذه العناصر الثلاثة فاذا ما غيرنا كلمة محمد ووضعنا بدلا منها كلمة (مثلا) وقلنا (ضرب صالح مثلاً) فان كلمة ضرب تغير معنها تبعا لذلك كما ان الحدث الصادر من صالح يتحول من حركة يدوية الى فعل لساني اما لو مررنا الجملة وقلنا (ضرب صالح محمد في اهم مشروعاته) لنال الجملة تغيير كامل في كل عناصرها.
(4) التفسير البنائي: 1: 21



غير مباشر، مما يضفي مزيداً من الجمالية والإمتاع على عمارة السورة))[1] فهي إذن قد احتوت على أغلب العلاقات الترابطية والبنائية من حيث السبب والنمو والتجانس وكذلك الثنائيات من حيث التقابل والتضاد والتماثل وحتى مسألة الحضور والغياب في السورة القرآنية ففي الخطوة الأولى وزّع البستاني سورة البقرة إلى أقسام ستة تمثل الخطوط الرئيسية التي بنيت عليها السورة:

القسم الأول: يركز على سلوك المنافقين مسبوقاً بثلاثين آية أطلق عليها (تمهيد) يحدد سمات المتقين، ويعرض كذلك سمات المنافقين يتضمنها بعض الآيات الخاطفة السمات للمشركين وبعض الظواهر الكونية ثم يأتي بثنائية المؤمن والكافر وهنا يكمن الجانب الفني وتوضح عمارة السورة من خلال الاستهلال القرآني لسورة البقرة حيث افتتحت: ((**الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**))[2] إذ وردت كلمة المتقين وهي المحور الذي بنيت عليه السورة إذ أن صفة الاتقاء أو التقوى لازمت السورة في أقسامها اللاحقة.

وإن السمات الخمس التي وصفت المتقين (الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، الإنفاق، الإيمان برسالة الإسلام والرسالات السابقة، الإيمان باليوم الآخر) ستلقي بإنارتها على الأقسام التالية: واحتوى هذا القسم على شيء من سمات المنافقين ابتدأ بآية: ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**))[3] إذن نلاحظ أن هذا النص قد حمل لنا ما يضاد سمة الإيمان وهو الكفر فالنص هنا حمل ثنائية التضاد بين الإيمان والكفر: ((**الذين يؤمنون بالغيب والذين يؤمنون بما انزل إليك**)) من جهة ومن الجهة الأخرى: ((**وسواء عليهم اانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**)).

(وبهذه النقلة الفنية من الحديث عن (المؤمنين) إلى الحديث عن الكافرين) ثم الربط بين مقدمة السورة ووسطها، إذ يرسم المقطع الجديد سمات الكفر بنحو مجمل، ثم يفصل الحديث عنه من خلال أحد مصاديقه وهو النفاق)[4] ويتألف المقطع

(1) المصدر نفسه: 1: 21
(2) البقرة: 1 – 2
(3) البقره: 6-7
(4) التفسير البنائي: 1: 24

الجديد من 13 آية خاصة بالمنافقين يبتدأ من قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ))[1] إلى قوله تعالى ((وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[2].

ففي هذا المقطع وردت. (الإصلاح – الإفساد) (الله والشيطان) والنور والظلمة وحصلت هنا حالة من (الإنماء أو النمو العضوي) عندما تنامت الصورة التي قدمت للكافرين: ((خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ))[3] فالبستاني يقول الاستعارة هنا (الختم على القلب والسمع والرمز هو: الغشاوة أو الغطاء على البصر، هذه الصورة التركيبية وردت في رسم شخصية الكافر مطلقاً. وسنرى أنها تنعكس على الصورة الاستعارية والرمزية والتشبيهية التي وردت في رسم شخصية المنافق)[4] فشخصية، ومثيرة ومدهشة. لقد وضعها من جانب – يكونها: صماء، بكماء، عمياء: ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ))[5] وهذا الوصف يُعد من حيث عمارة المقطع إنماءً عضوياً للصورة السابقة: ((خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... الخ))[6] حيث الختم على قلوبهم وسمعهم، ثم الغشاوة على بصرهم، يُفضي في النهاية إلى أن يكونوا (صماً وبكماً وعمياً)، وهذا ما نعنيه بعمليه (الإنماء أو النمو العضوي) بصفة أن الموضوع الأول (وهو الختم... الخ) قد تنامى تطوّراً، إلى الموضوع الآخر (وهو العمى... الخ) فالختم على السمع تنامى إلى ظاهرة (الصمم) والختم على السمع تنامى إلى ظاهرة (البكم) والغشاوة على البصر تنامت إلى (العمى) فأصبحوا – تبعاً لذلك صماً بكماً عمياً، كما هو نص الصورة التي وصفت المنافقين بأنهم: ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ))[7][8] ثم يأتي على مقطع آخر يبدأ بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

(1) البقرة: 8
(2) البقرة: 20
(3) البقرة: 7
(4) التفسير البنائي 1: 26
(5) البقرة: 18
(6) البقرة: 7
(7) البقرة: 18
(8) التفسير البنائي 1: 28



تَتَّقُونَ))[1] وينتهي بقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[2] إذ ذكر أن تعقيب الآية (لعلكم تتقون) له صلة ببداية السورة التي تحدثت عن سمات المتقين: ((الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))[3] إذ أن سمة (الاتقاء أو التقوى) تظل شاخصة في كل أجزاء السورة ثم أن هناك ثنائية انعكست أصداؤها على قسم كبير من السورة وهي ثنائية (الموت والحياة) أو (الإماتة والإحياء) مثل (إحياء البقرة بعد موتها، وإحياء الطيور الأربعة بعد موتها أي تقطيعها، وإحياء الميت بعد مئة سنة). فيرى المفسر كون ((الحديث عن الإماتة والإحياء رابطاً فنياً بين هذا المقطع وبين المقاطع اللاحقة فيما سيظل هذان الموضوعان: الإماتة والإحياء ثم الاتقاء أو التقوى في مقدمة الموضوعات التي تشكل الخطوط العامة التي تقوم عليها عمارة السورة الكريمة))[4] أما القسم الثاني بحسب توزيعه فيتضمن عشر آيات تتحدث عن قضية (المولد البشري) في قصة آدم (ع) وموقف إبليس من ذلك فيما تظل سمة ((علم الله تعالى)) الترابط مع ما قبلها من القسم الأول وخاصةٍ الفقرة الأخيرة التي ضمنت بقوله تعالى: ((وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[5] إذ يرى أن هذه الفقرة ((ليست مجرد صفة من صفات الله تعالى أي (العلم) بل تنطوي على مهمة عضويه رابطه بينها وبين الموضوع الجديد ويقول في ذلك "لقد ختم القسم الأول بعبارة: ((وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) وهذا يعني أن ظاهرة (العلم) هو البطانة الفكرية التي يقوم عليها هيكل القصة التي تتحدث عن المولد البشري. إن (المولد البشري) تجربه جديدة في حياة الملائكة التي أسندت إليها إدارة الكون، لذلك تظل سمة (عدم العلم) هي الطابع الذي يغلّف سلوكهم، وهذا ما دفعهم إلى التساؤل الأتي: ((قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء))[6] وعندما أجابهم الله تعالى: ((إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[7] ثم قدَّم لهم اختباراً هو: إن

(1) البقرة: 21
(2) البقرة: 29
(3) البقرة: 1–2
(4) التفسير البنائي 1:31
(5) البقرة: 29
(6) البقرة: 30
(7) البقرة: 30

يخبروه بالأسماء التي علّمها أدم، عندها أقرّوا بعدم العلم قائلين: ((لا علم لنا إلا ما علمتنا)) وهذا ما يرتبط بالملائكة. ما يرتبط بآدم، فإن العلم يظل هو الطابع الذي أودعه الله تعالى في شخصيته بحيث (علّمه) الأسماء كلها إلى الدرجة التي تفوق بها على الملائكة أنفسهم))[1] وأكد هذه الظاهرة من خلال قوله تعالى عندما قال: ((**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**))[2] ويأتي بعد ذلك القسم الثالث ويُعتبر أكبر الأقسام حجماً حتى أنه ليكاد بشكل ثلثي السورة الكريمة ويُعبر ضخامة الحديث الذي عُرض عن ضخامة السلوك المنحرف الذي يطبع الإسرائيليين أي أن هناك حالة من التطابق ما بين البيان القرآني وكميته وحالة السلوك المنحرف وقدره الذي تمثل بسلوك الإسرائيليين، وهذه التفاتة لطيفه من الدكتور البستاني لم يلحظها البحث في أي من التفاسير التي اطلع عليها.

ويبدأ القسم الثالث بالآية الكريمة: ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**))[3] ويختتم هذا القسم بالآية: ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**))[4] فيقول في ذلك ((إن العبارة المذكورة قد أستُهل بها في هذا الموقف، كما خُتم بها أيضاً، مما يكشف ذلك عن أحد أسرار البناء الهندسي للنص، متمثلاً في تكراره في بداية الموقف وخاتمته... حيث أن (التكرار) للشيء يفصح عن أهميته... كما أنه – من جانب أخر – ينطوي على سرٍ فني))[5] ويفصح بعد ذلك عن سر هذا البناء الهندسي وكذلك السر الفني في قوله ((... أن إحكام البناء الهندسي للنص، قد تجسد (من حيث الهيكل العام لهذا القسم من السورة) في صياغة عضوية بالغة الجمالية، حيث ختم هذا القسم بنفس الاية الكريمه التي بدأ بها القسم أيضاً، مع تغاير في النتيجة، فالبداية التي أستُهلَّ بها النص كانت على هذا النحو: ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**))[6]

(1) التفسير البنائي 1: 34
(2) البقرة: 33
(3) البقرة: 40
(4) البقرة: 122
(5) التفسير البنائي 1:42
(6) البقرة: 40



والنهاية التي خُتم بها النص جاءت على هذا النحو: ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عدل وَلاَ تنفعها شفاعة وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**))[1] فمخاطبة بني إسرائيل، وتذكيرهم بالنعم جاءت في البداية والنهاية في صيغة واحدة، إن النهاية ضمنت صياغة أخرى هي ((**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**)) هي نفس الصياغة التي وردت في (وسط القسم) الذي خُصص لسرد النعم وكفرانهم بها كما أضيفت إليها صياغة أخرى هي ((واتقوا يوماً... الخ)). وهذا النمط من التماثل والتغاير ينطوي على أسرار بنائيه في غاية الإحكام والجمال، فأول القسم ووسطه وأخره، خضع لصياغة واحدة (الآيات 40، 47، 122) هي: ((**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**)) ووسط النص وأخره أضيفت إليهما صياغة جديدة هي: ((**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**)) (الآيتان 47، 122) وأول النص أضيفت إليه صياغة خاصة هي ((**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**)) وآخر النص أضيفت إليه صياغة جديدة هي ((واتقوا... الخ)) حيث إن ((الاتقاء)) هو الحصيلة النهائية التي يستهدفها النص من وراء عرضه لسلوك الإسرائيليين فضلاً عن أنه (أي الاتقاء) يشكل حلقه وصل بين جميع أجزاء السورة حيث لحظنا أنه (مضافاً إلى محور أخر هو عملية الإحياء والإماتة) يشكلان محورين يقوم عليهما هيكل السورة في الأقسام السابقة، وفي انعكاساتهما المفصلة في الأجزاء اللاحقة))[2] ثم يأتي المفسر بعد ذلك إلى قسم أخر يبدأ الحديث به عن شخصية النبي إبراهيم (ع) ويتألف هذا القسم من (41) آية تبدأ بقوله تعالى: ((**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**))[3] ويرى المؤلف هنا إن تخصيص هذا القسم بشخصية إبراهيم (ع) يعني ذلك أن لهذه الشخصية أهمية خاصة إي أنها تشكل الامتداد الطبيعي للنبي أدم(ع) الذي جسّد شخصية المولد البشري في القسم الثاني من السورة إذ أشارَ إلى الصلة البنائية ما بين القسمين من خلال ما جاء في هذه الآيات:

(1) البقرة: 122–123
(2) التفسير البنائي 1: 68–69
(3) البقرة: 124

1- قال تعالى عن أدم: ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً))[1].

2- وقال تعالى عن إبراهيم: ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً))[2].

3- قال تعالى عن آدم: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ))[3].

4- وقال تعالى عن إبراهيم: ((وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ))[4].

إذ أن (الخلافة) هي مطلق العمل العبادي للإنسان، و(الإمامة) تمثل الوجه الاجتماعي للخلافة. وأما الكلمات التي تلقاها إبراهيم (ع) ((فأن النصوص المفسرة تشير إلى انها نفس الكلمات التي تلقاها آدم (ع)))[5] ثم يأتي بعد ذلك على النص الذي أختص بالحديث عن أهل الكتاب وعن الموضوع المرتبط ببناء الكعبة ويؤكد أن موضوع الكعبة يظل مرتبطاً عضوياً بشخصيتي آدم وإبراهيم ويورد بعد ذلك (الهدف الفكري للنص) المتمثل بالآية الكريمة: ((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))[6] والتي خُتم بها المقطع لتؤكد مدى الترابط الوثيق بين بداية المقطع ونهايته حيث جاءت البداية بالآية الكريمة التي تحدثت عن إبراهيم (ع) ودعائه بأن يبعث الله تعالى للناس رسولاً: ((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))[7] ثم يأتي بعد ذلك للقسم الخامس من السورة والذي يبتدأ بالآية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[8] ويختُم بالآية: ((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))[9] إذ تكلم المفسر هنا عن الأسرار البنائية التي احتوتها مقاطع هذا القسم فمنها ما جاء على نسقٍ هندسي

(1) البقرة: 30
(2) البقرة: 124
(3) البقرة: 37
(4) البقرة: 124
(5) ينظر التفسير البنائي 1: 78-79
(6) البقرة: 151
(7) البقرة: 129
(8) البقرة: 153
(9) البقرة: 177



يجمع بين مخاطبة المؤمنين وبين عرض السلوك المنحرف للكافرين إذ تأتي آية أو اتيان تخاطب المؤمنين تتبعها مثلها في عرض السلوك المنحرف للكافرين وهكذا يتكرر هذا النسق مما يضفي بناءً عمارياً رائعاً في دائرة التقابل[1] ويستمر البستاني برصدهِ هذه العلائق التقابلية ويصل بعد ذلك لثنائيه تجمع ما بين الحضور والغياب على النحو التالي:

مخاطبة المؤمنين: وإلهكم اله واحد... الخ... ضمير المخاطب

يا أيها الناس كلوا حلالاً... الخ... ضمير المخاطب

يا أيها الذين آمنوا: كلوا مما... الخ... ضمير المخاطب

- عرض سلوك المنحرفين:

ومن الناس من يتخذ من دون الله... الخ... ضيمر الغائب

وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله... الخ... ضمير الغائب

ان الذين يكتمون ما انزل الله... الخ... ضمير الغائب

ويأتي بعد ذلك لختام المقطع فيقول ((فهذا ((الختام)) عن الصبر في حالات ثلاث البأساء، الضراء، حين البأس، يتناسب مع (البداية) التي استُهل بها القسم ومع (الوسط) الذي كرر أهمية الصبر في فقرات من نحو: ((وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))[2] ((إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[3] حيث يكشف مثل هذا التلاحم بين (أول) القسم و(وسطه) و(نهايته) عن قمة الإحكام الهندسي للنص من حيث علاقة أجزائه بعضها مع الأخر))[4] ويؤكد هنا في نهاية القسم أنه قد خُتم بآية: ((وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))[5] مما تشكل هذه الآية عنصراً رابطاً بين هذا القسم والأقسام السابقة من السورة وبينه كذلك والقسم اللاحق حيث أن ظاهرة (التقوى أو الاتقاء) هي محورٌ فكري تتخلل السورة في معظم أجزائها ونلاحظ أن هذه الظاهرة قد وردت بكثرة في القسم السادس مما يؤكد ان ورودها في نهاية هذا القسم جاءت بشكل يمهد للأحكام

(1) ينظر: التفسير البنائي 1:90-91
(2) البقرة: 155
(3) البقرة: 153
(4) التفسير البنائي 1: 94
(5) البقرة: 177

الشرعية التي ستأتي في هذا القسم أي السادس ثم يأتي إلى سلسلة الأحكام التي بدأ كل واحدٍ منها ببيان نوعه، وانتهى بعبارة (الاتقاء)، أو توقف في وسط ذلك[1]:

القصاص: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[2].

الوصية: ((كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ... حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ))[3].

الصوم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[4].

الأهلة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ... وَاتَّقُواْ اللّهَ...))[5].

الجهاد: ((الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِمَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))[6].

الحج: ((وَأَتِمُّواْ... وَاتَّقُواْ اللّهَ...))[7].

النكاح: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ... وَاتَّقُواْ اللّهَ...))[8].

الطلاق: ((الَّذِينَ يُؤْلُونَ... واتقوا الله))[9].

فنلاحظ أن فكرة (التقوى أو الاتقاء) بقيت ملازمه للسورة حتى نهايتها وجاءت في هذا القسم بشكل مكثف تأكيداً على محورية هذه الظاهرة في السورة ثم أن هناك صياغةً ونسقاً هندسياً صيغت به هذه الأحكام من قبيل:

- القصاص: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...)).
- الوصية: ((كُتِبَ عَلَيْكُمْ... الْوَصِيَّةُ)).
- الصوم: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)).

فعبارة (كتب عليكم) هنا هي القاسم المشترك ما بين هذه الأحكام

(1) ينظر التفسير البنائي: 96
(2) البقرة: 179
(3) البقرة: 180
(4) البقرة: 183
(5) البقرة: 189
(6) البقرة: 190
(7) البقرة: 196
(8) البقرة: 223
(9) البقرة: 226



أما عبارة (يسألونك) فتأتي مشتركة في مجالٍ أخر نحو:

- الأهلة: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ)).
- الإنفاق: ((يسألونك ماذا ينفقون)).
- الخمر والميسر: ((يسألونك عن الخمر والميسر)).

اليتامى: ((يسألونك عن اليتامى)).(3)

- المحيض: ((يسألونك عن المحيض)).

وهناك عبارة جاءت مشتركة في نماذج أخرى مثل:

((فلا جناح عليهما فيما افتدت...)).

((فلا جناح عليهما ان يتراجعا)).

((فلا جناح عليهما، وان أردتم ان تسترضعوا)).

((فلا جناح عليكم اذا سلمتم)).

((فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف)).

ثم يقول الدكتور البستاني بعد ذلك (والآن إذا تركنا هذا البُعد الفني من أبعاد التناسق الهندسي للنص، متمثله من خطوط (التماثل) بينها، حينئذٍ نواجه نسقاً هندسياً آخر، يتمثل من خطوط (التقابل) بينها))[1]

ويسوق أمثله لهذا (التقابل):

((قاتلوا الذين... يقاتلونكم)).

((أخرجوهم... من حيث أخرجوكم)).

((لا تقاتلوهم... حتى يقاتلوكم)).

((فان قاتلوكم... فاقتلوهم)).

((الشهر الحرام... بالشهر الحرام)).

((فمن اعتدى... فاعتدوا عليه)).

هذا ما ورد في أحكام الجهاد أما ما لوحظ في أحكام الزواج فنجد

((لا تنكحوا المشركات... لا تنكحوا المشركين)).

- لو أعجبتكم - ولو أعجبكم.

(1) التفسير البنائي 1: 98

- أمةُ مؤمنه – عبد مؤمن.
- أولئك يدعون إلى النار – والله يدعو إلى الجنة.

ثم يؤكد بعد ذلك البعد البنائي والهندسي للسورة القرآنية من خلال ذكره القصص القرآنية التي وردت في هذا القسم فهناك ثلاث قصص أو حكايات تصب جميعاً في فكرة (الإماتة والإحياء) التي تشكل أحد هذه المحاور الرئيسية لأفكار السورة، القصص هي[1].

1- قصة إبراهيم مع نمرود.
2- قصة المارّ على القرية.
3- قصة الطيور الأربعة.

وعدَّ هذه القصص قصصاً مستقلة من جانب وقصصاً متداخلة فيما بينها من جانب آخر فهي متداخلة كونها تحقق هدف أحد المحاور الرئيسة في السورة وهو (الإحياء والإماتة) وإنها مستقلة لأنها تحقق غرضاً خاصاً بها فالأقصوصة الأولى تتحدث عن مطلق الإماتة والإحياء، والثانية تتحدث عن إماتة وإحياء مدينة، والثالثة تتحدث عن إحياء طيور كما أن سياق كل واحدة يختلف عن الأخرى فالأولى تتحدث عن شخصية كافرة والثانية تتحدث عن شخصية مؤمنة والثالثة تتحدث عن شخصية موقنة وإن قصتين من هذه القصص ينتظمها بطل واحد هو إبراهيم (ع) وإنه (ع) قد احتل الحديث عنه مساحة كبيرة في هذه السورة. مما يؤكد أن النص – في شبكة خطوطه العامة – ما يزال يصل هذه الخطوط المتباعدة والمتقاربة حتى لا يفصل أحدهما عن جسم السورة الكريمة[2]. وعندما يصل الدكتور البستاني في تفسيره إلى الآيتين الكريمتين: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**))[3] و((**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ...**))[4] يقول ((نحن الآن أمام عمارة تقوم على خطوط من (التماثل) و(التضاد) حيث أن كليهما يخلع على

(1) التفسير البنائي 1: 120
(2) ينظر: المصدر نفسه 1: 121 –122
(3) البقرة: 264
(4) البقرة: 265



العمارة جمالية خاصة، فالتماثل هو الخطوط المتوازية، التضاد هو الخطوط المتقابلة، والجمال يتجسد في توازي الخطوط من جانب، أي مجاورة بعضها للأخر، ويتجسد في تقابل الخطوط من جانب أخر، أي وقوف أحدهما مقابلاً للأخر. التماثل هو (التراب) و(الوابل) والتضاد هو (الإجداب) و(الإخصاب)))[1] فتكون المعادلة الآتية:

الوابل + التراب الصفوان – الإجداب (صلداً)
الوابل + تراب الجنة – الإخصاب (أكلها ضعفين)

ويذكر كذلك في السياق نفسه ما أسماه (التضاد من خلال التماثل أو التماثل من خلال التضاد)[2] في قوله تعالى ((**يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**))[3] فالإنفاق عملية (إعطاء) والربا عملية (أخذ) والإنفاق يستتبع عملية (نمو) والربا يستتبع عملية (تناقص). فالمفروض أن تكون عملية الإنفاق (إعطاء) عملية (تناقص) وعملية الربا (أخذ) في حالة (نمو) إلا أن الآية الكريمة جاءت بصيغة مغايرة لما هو متوقع وبذلك تبرز الجانب الفني ومدى جمالية هذه العمارة التي (تتقابل) خطوطها واحداً أمام الأخر من جانب (التماثل) و(التضاد).

ويتجه المفسر في نهاية المطاف إلى آخر ظاهرة عرضها النص في السورة وهي ظاهرة الدين في قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم... والله بما تعملون عليم**))[4].

فيقول ((إذن جاءت هذه الآية من حيث العمارة العامة لها مندرجة ضمن ظاهرة عامة هي الظاهرة الاقتصادية كما جاءت ضمن سلسلة عامة قد انتظمت القسم السادس من السورة إلا وهي سلسلة (الأحكام الشرعية) وجاءت أخيراً متجانسة مع سلسلة الأحكام ومع أحد المحاور الثلاثة للسورة وهو محور (الاتقاء) الذي مرّر شبكة إنارته على دروب السورة جميعاً))[5] هذا ما أردنا أن نأخذه أنموذجاً لرؤية الدكتور البستاني في تفسيره وهي سورة البقرة والآن نأتي نحول الطرف في المستويات البنائية التي عرضها المفسر في قراءته للقرآن وفق رؤيته في عموم ما كتب:

(1) التفسير البنائي 1:129
(2) المصدر نفسه: 131
(3) البقرة: 276
(4) البقرة: 282–283
(5) التفسير البنائي 1: 134

## المستوى الصوتي

اعتمدت ((الدراسات البلاغية والنقدية في تعليل أحكامها، رهافة الحس، وانفعال الإنسان بالكلمة المعبرة، وتتخذ من حاسة السمع وسيله للمفاضلة بين لفظتين تشتركان في المعنى وتتباينان في صوتهما اللفظي وجرسهما وإن قيمة هذا التباين وأثره السّار أو المنفّر يمكن إدراكه بواسطة الأذن))[1] إذن حاسة السمع لها القدرة والإمكانية في التمييز مابين الألفاظ لان الألفاظ في حقيقتها ((ليست أصواتاً محضة وإنما هي أصوات دالة))[2] وإن لهذه الدلالة الصوتية أثرها في استدعاء المعنى والإيحاء به وعليه تكون قيمة الجرس ليست إفادة لفظية فحسب وإنما هي إفادة معنوية فيما يتركه الجرس من تصور ذهني وفيما تهيئه الألفاظ في إيحائها للمعاني من استجابة تأثرية لدى السامع[3] والدكتور البستاني له رأي في هذا المجال إذ أنه يؤكد على الذوق فقط في حالة دراسة الأصوات وإيقاعاتها دون التحدث عن التعليل الفني[4] وهذا ما لم يلتزم به البستاني من خلال قراءته لبعض الآيات القرآنية على المستوى الصوتي ففي معرض كلامه عن الآية الكريمة في سور الملك: ((**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**))[5] يقول ((إن في هذه الآية القرآنية الكريمة أو هذا النص القرآني الكريم إيقاعاً جميلاً جداً وهذا الإيقاع يتمثل في حروفٍ ثلاث وهي حرف السين والصاد والزاي المسماة بحروف الصفير، وهذه الحروف الثلاثة كما هو معروف تُنسب إلى مخرج واحد من مخارج الجهاز اللساني، ولأنها تتجانس في نمط الجهاز الصوتي حينئذٍ فأنها تكسب النص جمالية فائقة يتحسسه كل واحدٍ منا إذا قُدر له أن يتأمل هذا الجانب بدقة بحيث يجد كيف أن حرف الزاي في العبارة (زيّنا) وحرف السين في العبارة (السماء) وحرف الصاد في عبارة (مصابيح) عبر قوله تعالى: ((**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**))[6].

(1) دروس في البلاغه وتطورها، د. جميل سعيد، مطبعة المعارف بغداد، 1951، ص 112، مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955، ص 59، وينظر كذلك جرس الألفاظ ودلالاتها د. ماهر مهدي: 21

(2) جرس الألفاظ: 313

(3) ينظر: المصدر نفسه: 313 -314

(4) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 214

(5) الملك: 5

(6) الملك: 5



نجد أن جمالية هذه الحروف الثلاثة واضحة بالنسبة لكل من يملك تذوقاً إيقاعياً لهذا النص أو ذاك))[1].

ثم يشير بعد ذلك إلى أثر هذه الأصوات بنائياً في عموم السورة (أي سورة الملك) حيث أن أصداء هذهِ الحروف الثلاثة تتجاوب مع طوال السورة الكريمة فكررت هذهِ الحروف رغم انتسابها إلى أصل صوتي واحد في عرض السورة حتى نهايتها وبخاصة حرف (السين والصاد) وأحصى ذلك بالعبارات التالية: - أحسن، سبع، سماوات، البصير، البصر، السماء، بمصابيح السعير، النصير، سمعوا، سألهم، زين، نزل، نسمع، السعير، حاصباً فستعلمون، صافات، يمسكهن، بصير، ينصركم، يرزقكم، امسك، رزقه، تميّز، سوياً، صراط مستقيم، السمع، الأبصار، زلفة، سيئت، تستعلمون، أصبح.

ويقول أن هذه المفردات قد شكلت نسبة تقريبية تُقدر بعشرين من المئة من عدد كلمات السورة بأجمعها. وحرف بمفرده يشكل نسبه 12% مما يعني أن السورة قد غلب عليها طابع صوتي معين مما يضفي جمالية أخرى نتيجة لهذا البعد البنائي الصوتي.

حيث أن التجانس الصوتي يبدو واضحاً في الآية السابقة بالإضافة الى الفقرات الاتية: ((**فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ**))[2]

((**الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ**))[3].

((**سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**))[4].

((**السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ**))[5].

وكذلك ((**يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**))[6].

ويؤكد هنا أن نسبة الصوت الحاصلة هنا في سورة الملك إلى مجموع السورة قد تنسحب على سورٍ كثيرة أخرى. وأن السورة فيها فقرات أخرى متجانسة صوتياً من

(1) دراسات في علوم القرآن: 214

(2) الملك: 11

(3) الملك: 4

(4) الملك: 22

(5) الملك: 17

(6) الملك: 21

حروف أخرى غير الحروف التي ذُكرت فمثلاً نلاحظ (حرف العين) هو العنصر المجانس بين الأصوات في فقرة: ((وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ))[1].

وعندما يأتي على ذكر سورة القمر يقول أن هناك عنصراً إيقاعياً وعنصراً قصصياً وعنصراً صورياً تتآزر هذه العناصر وتتلاحم وتتجانس وتتواشج لتشكل بناءً فنياً محكماً[2] فسورة القمر تحوم فكرتها على قيام الساعة وأهوالها حيث استهلت بقوله تعالى: ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ))[3] إن حرف السين الذي تتضمنه لفظة الساعة وهي اللفظة المعبرة عن قيام اليوم الآخر وما تكتنفه من الأهوال، هذا الحرف المنتزع من عبارة الساعة نجدهُ يتجانس مع دلالة السورة ينحو عام. وجاء هذا الحرف يتجانس ليس مع عبارة الساعة فحسب بل مع كونها حادثاً يقع في السماء أيضاً ونلاحظ هذا التجانس أيضاً في الآيات التالية: ((إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ))[4] ((يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ))[5].

فهنا نلاحظ أن سقر وهي وصف من أوصاف جهنم وهو المآل الأخير الذي يأوي إليه الكافرون والجاحدون قد تضمنت حرف السين ويمكن أن تأتي بصيغة أخرى الا أنها وردت في هذا المكان تجانساً مع الآيات الآخر وإن (مسّ) كذلك كان يمكن أن تُستبدل بسواها ولكنها جاءت وهي تنطوي على حرف السين. بل إن حرف السين ذاته جاء مضعفّاً أي تضمن صوتاً لحرفين من سين. حتى أن أوصاف جهنم جاءت متضمنة لحرف السين مثل في ضلالٍ وسعر. فيقول من هنا نلاحظ أن المقطع الأخير جاء حرف السين فيه طاغياً بالنسبة للحروف الأخرى مما يؤكد أن استخدام القرآن الكريم للعنصر الإيقاعي يجعل من بناء السور بناءً متجانساً[6] ويرى البستاني كذلك إن التجانس الحاصل مما بين صوت الكلمة مع دلالتها يضيف بعداً جمالياً وفنياً رائعاً ففي قوله تعالى: ((كَلَّا إِنَّهَا لَظَى))[7].

(1) الملك: 5
(2) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: 217
(3) القمر: 1
(4) القمر: 47
(5) القمر: 48
(6) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 219
(7) المعارج: 15



يقول ((فلفظة (لظى) سواء أكان المقصود منها نار جهنم مطلقاً اوأن إحدى مستوياتها ودرجاتها، تظل من حيث بعدها الإيقاعي وتجانسه مع البعد المعنوي، اي تجانس صوت الكلمة مع دلالتها (حيث أن لظى تعني أنها تتلظى وتشتعل وتلتهب) تظل وكأنها تتكلم بلسانٍ ناري من خلال تلظيها، اشتعالها، التهابها، فألسنة اللهب هي ألسنة كلام أيضا ولكنه كلامٌ من نار... هكذا يتحسسها المتلقي وهو يواجه هذه اللفظة... بل إن الفقرات التي تليها تؤكد هذا الاستيحاء المرعب للكلمة... إن فقرة: ((نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى))[1] لا يمكن أن نتبين مدى جمالية صياغتها وتطابق دلالتها مع صوتها وتجانس ذلك مع هول لظى إلا من خلال التذوق الصرف... إن لفظة (نزاعة) مرعبه وكذلك لفظة (للشوى) إن كلاً من اللفظتين عبارة مصعقة، مهولة، مزمجرة توحي بغضب لظى وباستعدادها للفتك بالمنحرفين بنحوٍ تنزع: اللحم، الجلد، الدماغ، الساق... الخ))[2] فإن تجانس الأصوات وبناءها بهذه الكيفية ساهم كثيراً بإبراز الجانب الجمالي والفني بالأضافة إلى الجانب الإعجازي للقرآن الكريم. ويذكر الدكتور البستاني في هذا المجال حالات من التجانس المطلق إلذي يتمثل في توحيد الأصوات فيقول إما أن يأتي هذا التوحد في أول العبارة مثل قوله تعالى: ((أَدْهَى وَأَمَرُّ))[3].

أو أن يتوحد في أخر العبارة: ((سبأ بنبأ))[4].

أو أن يتوحد الصوت في أول العبارة وأخرها مثل: ((يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ))[5].

أو أن يتوحد الصوت في وسط العبارة مثل: ((وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ))[6] أو أن يكون إيقاع الصوت متوازناً بين الجمل كقوله تعالى: ((فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ))[7].

(1) المعارج: 16
(2) التفسير البنائي: 119/5
(3) القمر: 46
(4) النمل: 22
(5) الانعام: 26
(6) الرحمن: 6
(7) الواقعة: 29 – 30

ثم يتناول بعد ذلك الفاصلة القرآنية باعتبارها نمطاً إيقاعياً لها ارتباط مباشر ليس بالجانب الجمالي فحسب بل لها ارتباط كذلك بالجانب الدلالي[1] وأن النصوص القرآنية إما أن تتوحد فواصلها وهذا ما يحدث في السور القرآنية القصيرة كما في سورة الكوثر: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ))[2] أو تتباين وتتنوع كما هو في غالبية السور القرآنية[3] ويؤكد مرة أخرى على ((أن هذا التنوع والتكرار (الحاصل في الفواصل في بعض السور القرآنية) ليس مجرد إيقاع جمالي يستهدف طرد الملل من القاري مثلاً بقدر ما يستهدف في الآن ذاته معنى دلالياً أي أن هناك ثمة ارتباطاً بين الصوت والدلالة))[4] ويضرب لذلك مثلاً قوله تعالى في سورة قريش: ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ))[5] فنلاحظ أن الفاصلة الأولى انتهت بحرف الشين والثانية انتهت بحرف الفاء في حين أن الثالثة انتهت بحرف التاء، ثم تكرر وتوحد حرف الفاء في الآية الرابعة ويتساءل بعد ذلك المؤلف عن السبب الذي جعل التجانس حاصلاً ما بين الآية الثانية مع الرابعة أي: ((إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ))[6] ((الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)) وما السر في ذلك يجيب عن ذلك أن رحلة الشتاء والصيف ذات ارتباط بذهاب الجوع وذهاب الخوف لذلك تجانست الفاصلتان. أما بالنسبة للآيتين الأخريين فلم يكن الارتباط بينهما بنحو الحجم الذي لاحظناه في الآية الثانية والرابعة فجاء التجانس بينهما متمثلاً في حرفي الياء من كلمة قريش وحرف الياء من كلمة البيت وهو تجانس واقع في الوسط وهذا يختلف تماماً عن الأصوات الواقعة في نهاية الكلمة[7].

ويستشهد كذلك بنموذج آخر توحدت فيه بعض الفواصل كما جاء في سورة التكاثر حيث أن: ((أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ))[8].

(1) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 222
(2) الكوثر: 1 – 3
(3) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 223
(4) المصدر نفسه
(5) قريش: 1 – 4
(6) قريش: 2
(7) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: 224
(8) التكاثر: 1



توحدت فاصلتها مع: ((زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ))[1].

وكذلك عبارة: ((لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ))[2].

قد توحدت مع: ((لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ))[3].

وهذا التوحيد في الفاصلة جاء هنا للتضاد في حين جاء التوحيد في السورة السابقة للتجانس بين الدلالتين. وهذا ما يراه الدكتور البستاني من أن التجانس بين الدلالتين لا يتحقق فقط من خلال التماثل بل يتحقق كذلك من خلال التضاد كما هو في فاصلتي (الجحيم والنعيم)[4].

## المستوى القصصي

يرى المفسر أن القصة القرآنية الكريمة هي واحدة من العناصر التي توظفها السورة القرآنية لكي تلقي بإنارتها على موضوعات السورة أي أن القصص القرآني هو عنصر توظيف لغرض إيصال ما تحوي السورة من أفكار وموضوعات إلى المتلقي[5] فأية قصة لا بد أن ترتبط بما تتضمنه السورة الكريمة من أفكار أي تجيء بداية قصصية أيضاً متناسبة مع الأفكار الواردة في السورة[6].

لذلك يرى أن هذا التكرار الحاصل في القصة القرآنية الواحدة ولكن بصيغ مختلفة كما هو قصص موسى (ع) وكذلك الإنبياء وقصص المعاد إنما تتناسب مع النقطة المعنية التي تبدأ بها بالإضافة إلى تناسبها مع طبيعة ما في السورة من موضوعات، حيث يبدأ الحديث مرةً من وسط الأحداث وأخرى من نهايتها وحيناً أخر من أولها أي أن القصة القرآنية تأتي منسجمة بالاتجاهين العمودي والأفقي فهي تتناسب مع المحور أو الموضوع الرئيس الذي تطرحه السورة فضلاً عن أنها تنسجم مرة أخرى مع النقطة التي تنطلق منها القصة في عرض السورة القرآنية. فعندما يذكر قصة موسى (ع) يقول ((نلاحظ مثلاً أن الأحداث في أحدى القصص عن موسى

(1) التكاثر: 2
(2) التكاثر: 6
(3) التكاثر: 8
(4) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 225
(5) ينظر: المصدر نفسه: 284
(6) المصدر نفسه: 285

الواردة في سورة القصص تبدأ من البداية حيث يتحدث النص القرآني الكريم على إرضاع موسى والثانية في اليم... عندما نتجه إلى سورة الشعراء نجد أن أول الحوادث يجيء من خلال أمر موسى أن يأتي القوم الظالمين: ((**قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**))[1].

وأما في سورة النمل فإن البداية تبدأ من حيث أن موسى التمسَ ناراً: ((**فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا**))[2]... لنلاحظ كيف أن هذه البدايات الثلاث كل واحدة قد اختلفت عن الأخرى... وهذا يعني أن لكل بداية من البدايات المشار إليها: السياق الذي يفرض هذه البداية أو تلك))[3].

ثم أن بعض القصص القرآني ترد ضمن موضوع السورة الرئيس أو المحور الذي تتكيء عليه كما هو واضح في سورة الكهف حيث أن الموضوع الرئيس لها هو: ((**زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**))[4] من حيث نبذ هذه الزينة كما هو حاصل في قصة أصحاب الكهف والتعلق بها كما هو (صاحب الجنتين) في السورة نفسها ومن أنواع القصص القرآني القصة التي تستغل في سورة في حد ذاتها كسورة يوسف أو سورة نوح أو سورة الجن هذه السور تبدأ فيها القصة عبر تسلسلها الزمني حيث أن أحداثها تأتي تباعاً من أول الأحداث إلى وسطها حتى نهايتها وتدور هذه القصص حول موضوعٍ واحد ومحور تدور عليه أحداث القصة وبناء هندسي خاص.

ويذكر الدكتور البستاني مثالاً عن بناء القصة المستقلة في سور يوسف (ع) فيقول ((إن الأحداث والمواقف في هذه القصة تبدأ بحسب وقوعها المتسلسل في الزمن وليس فيها تقديم أو تأخير، أي ليس فيها بدء بالحادثة من الوسط والنهاية وارتداد إلى البداية بل إن الحادثةفيه تبدأ من الأساس عبر تسللها الزماني ((أن القصة تبدأ من حادثه الحلم الذي رآه يوسف (ع): ((**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**))[5].

(1) الشعراء: 11
(2) طه: 10
(3) دراسات في علوم القرآن: 295
(4) الكهف: 28
(5) يوسف: 4



وهذا يعني أن (الحلم) يشكل مادة قصصية لاستهلال القصة به فمادة الحلم لا تنحصر في هذه المقدمة بل يأخذ مسراه في أكثر من موقع من مواقع هذه القصة. فملك مصر رأى حلماً ترتب عليه تغيير اجتماعي واقتصادي كذلك الشخصان اللذان كانا مع يوسف في السجن ذكرا له الرؤيا. إذن تبدأ القصة بالحديث عن الحلم وتعكس أثرها لتترك صداها في أحلام لاحقه وهذه الأحلام بدورها يترتب عليها أثر كبير في التغيير. وهذا وحده يشير إلى بناء هندسي جميل وكذلك بناء دلالي أجمل[1]. فيرى أن هناك ارتباطاً عضوياً محكماً جداً بين ختام القصة وبدايتها ووسطها من خلال المواقف المجانسة أو المتطورة أو المتنامية ففي البداية رأى يوسف الرؤية وفي الختام جاءت الآية عبر قول يوسف لأبيه: ((**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً**))[2]. ثم أن قول أبيه له: ((**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً**))[3].

فنلاحظ أن الكيد بعد ذلك قد ظهر وبشكل متنام. وإن كلمة (تأويل) ذاتها قد ألقت بانعكاساتها على القصة وجاءت في موقعين. الموقع الخاص ((بتأويل الرؤيا)) والموقع الآخر ((بتأويل الأحاديث)) واستخدام التأويل في ظاهرتي كل من ((الأحلام)) وكل من ((البعد المعرفي العبادي)) يظل فارضاً مشروعيته في حوار يوسف في القصة[4].

عندما يقول: ((**عَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**))[5].

فهو صدى لما جاء في مقدمة القصة: ((**وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**))[6].

وكذلك ما جاء في وسطها: ((**وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**))[7].

فهذه العبارة عندما جاءت في أول القصة نرى أن يوسف لم يبلغ بعد المرحلة المعرفية التي أشار إليها النص وكذلك في الوسط إلا أنها تحققت في الختام فهي في

(1) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 301 – 302
(2) يوسف: 100
(3) يوسف: 5
(4) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: 306
(5) يوسف: 101
(6) يوسف: 6
(7) يوسف: 21

حالة نمو واطراد. ومن مظاهر البناء القصصي الفني في هذه السورة كما يرى هي مفردة (المحسنين) فقد وردت في البدايات الأولى من وسط القصة: ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))[1].

وجاءت بعد ذلك في عبارة الشخصين الذين كانا مع يوسف في السجن: ((إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ))[2].

وهذه السمة نجدها مرة ثالثة تنعكس على موقع أخر من القصة عندما خرج يوسف من السجن: ((وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))[3].

إذن نرى سمة واحدة كالإحسان تتكرر في مواقع متنوعة من القصة تدل على حالة التواشج والتآزر والإحكام في أجزاء القصة. ويشير كذلك إلى أن عبارة: ((وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ)) وردت مرتين في هذه القصة جاءت بعد مواقع الشدةِ التي مرت عليه إذ جاءت بعد خروجه من البئر وبعد شدة السجن فجاءت الأولى في التعقيب على حادثة البئر وخروجه منها، والثانية على حادثة السجن وخروجه منه[4].

ويذكر المفسر كذلك لوناً آخر من عمارة القصص القرآني ألا وهو التداخل في القصص وهذا ما يمكن أن نلاحظه من خلال سورة (آل عمران) إذ أن أحد مقاطعها يتضمن عنصراً قصصياً يتألف من خمس قصص أضف إلى ذلك إلى أقصوصة سادسة حيث تتوالى هذه الأقاصيص متسلسلة واحدة بعد الأخرى[5].

وإذا كانت قصص (سورة البقرة) قد تناولت موضوع (الإماتة والإحياء) فإن سورة (آل عمران) لها موقف مماثل من حيث انصباب القصص في بؤرة فكرية واحدة وهي (الظواهر الإعجازية) وفي مقدمتها (الإنجاب المعجز) أي ولادة أشخاص بطريقة اعجازية. فامرأة عمران تلد مريم ومريم يتكفلها زكريا، زكريا بعدما يجد أن مريم قد أحيطت برعاية خاصة من السماء يطلب بدوره أن يهبه الله سبحانه وتعالى غلاماً.

(1) يوسف: 22
(2) يوسف: 36
(3) يوسف: 56
(4) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 300 – 310
(5) قصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً، د. محمود بستاني: 115/1



يهب الله تعالى الغلام المسمى يحيى بعد العجز، ثم أن مريم تلد عيسى كذلك بطريقة معجزة. إذاً الشخصيات جميعاً تنتسب إلى محور واحد من التداخل الذي لا تنفصم عراه[1].

ونلاحظ أن الدكتور البستاني يؤكد هنا ((التجانس الحاصل ما بين هذه القصص من جانبي (التماثل والتباين) فالخط المتماثل حاصل في ولادة عيسى بشكل إعجازي والرزق الذي يأتي مريم كذلك وولادة يحيى. في حين أن التباين يمكن ملاحظته من خلال كل شخصية لها وظيفتها واستقلالها عن الأخرى فامرأة عمران تمارس عملية النذر. وزكريا يمارس عملية دعاء الله سبحان وتعالى، ويحيى يمارس عملية تصديق برسالة عيسى، وعيسى يمارس عملية خاصة تتمثل في كونه قد أنيطت به النبوة والتكلم))[2].

وهذا ما حصل كذلك في سورة الكهف حيث أن هناك قصصًا متداخلة فيما بينها ارتبطت برابطٍ فكري محوري مهدت له، مقدمة السورة التي تحدثت عن زينة الحياة الدنيا مع الاحتفاظ لكل قصة بخصوصية مستقلة.

ويؤكد على أنَّ جميع قصص القرآن جاءت منسجمة ومترابطة بشكل كلي مع الموضوع المحوري أو الرئيس الذي تناولته السورة ولا يمكن للقصة الخروج عن هذا الخط المرسوم لها ويأتي بمثال يؤيد ما ذهب إليه من قصة سليمان (ع) مع النمل والهدهد فيقول ((الترابط الفني القائم بين حكايتي النمل والهدهد في قصة سليمان يتمثل في:

أ- إن الحكايتين تتعاملان مع أبطال ثانويين من غير الآدميين: النمل والهدهد.

ب- إن الحكايتين يجمعهما بطلٌ رئيس واحد هو سليمان (ع).

ج- إن الحكايتين يتم التعامل بين أبطالهما بلغةٍ خاصة يُتقنها سليمان (ع) بحسب منطق البطل غير الآدمي الذي يُتعامل معه.

د- إن الحكايتين تعرضان – من خلال تعقيب النص عليهما – مفهوم الشكر على عطاء السماء الذي أشرنا إلى أنه يمثل أفكار القصة (قصة سليمان)،

(1) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 335، وكذلك ينظر: قصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً: 115
(2) دراسات في علوم القرآن: 335

ففي حكاية النمل وعقب سليمان على إدراكه لمنطق النملة قائلاً: ((رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ))[1].

وفي حكاية الهدهد عقب سليمان على واقعة العرش الذي أحضره أحد الأبطال... قائلاً: ((هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ))[2].

أضف إلى ذلك ((أن التمهيد الذي تصدر الحكايتين يشكل وحدة عنصراً رابطاً بينهما من خلال إشارة سليمان نفسه إلى أنه علم منطق الطير وإشارته - وهذا هو الخيط الرابط - إلى أنه أوتي من كل شيء والى أن هذا هو الفضل المبين))[3].

## المستوى الموضوعي

يرى الدكتور البستاني أن السور القرآنية قد انبنت على موضوعات وأفكار محددة إذ أن لكل سورة محورا معينا تدور عليه أفكار وموضوعات السورة وتلتقي معه وإن القرآن الكريم قد عرض هذه الموضوعات بأساليب وصيغ معنية فمرة تكون المفردة بمفهومها هي الموضوع الأساس وذلك بتكرارها كثيراً في جو السورة ويأتي التكرار مرةً أخرى من خلال التماثل والتضاد عرض القصص القرآني أو يأتي الموضوع من خلال (نمو) المفهوم أي يُطرح الموضوع في البداية بشكل معين ثم ينتهي بشكل آخر بحسب تسلسله أو بحسب نمائه أو من خلال (التجانس) بين موضوع وأخر ويكون التماثل من بعض الجوانب بين الموضوع السابق واللاحق ومن خلال مجانسة هذين الموضوعين ويتم الانتقال إلى موضوع أخر ثم أن هناك (التمهيد) أي افتتاحيات السور تنتظم بربط أجزائها حول موضوع معين من خلال (التداعيات الذهنية) ويقول في ذلك ((أي الذهن الذي يتداعى من فكرة إلى فكرة أخرى لاإرتباط لها بسابقتها، ولكنه ارتباط بفكرة أخرى يتداعى إليها الذهن))[4] وبعد ذلك يضرب أمثله لما ذكر أنفاً فمفردة الرحمة ومفهومها في سورة مريم قد سادت على أجواء السورة التي استُهلت

(1) النمل: 19
(2) النمل: 40
(3) القصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً: 68/2 - 69
(4) دراسات في علوم القرآن: 483



بهذه المفردة: ((ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا))[1] وإن مفهوم الرحمة قد تعمق في دلالته، وتكرر وأنسحب على أنبياء آخرين ذكرتهم السورة، فهذا عيسى قد شملته الرحمة في قوله تعالى: ((وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا))[2] وكذلك: ((وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً))[3] وشمل بهذه الرحمة (كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب): ((وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا))[4].

ثم يُلاحظ أن النص هنا عندما يأتي على ذكر صفه الله تعالى نجد استعمال كلمة (الله) أو (الرب) أو غيرها من الصفات هي الغالبة في السور القرآنية، وانتخاب عبارة (الرحمن) وتكرارها في أجواء هذه السورة يشكل حالة من الاندهاش ولفت النظر[5] حيث وردت في هذه الآيات على لسان مريم (ع): ((قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً))[6]: ((إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً))[7] وجاء على لسان إبراهيم (ع): ((إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً))[8] ((وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ))[9].

((أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً))[10] ((فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً))[11] ((أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً))[12] ((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً))[13] ((إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً))[14] ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً))[15] ((أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً))[16] ((وَمَا

(1) مريم: 1
(2) مريم: 21
(3) مريم: 53
(4) مريم: 50
(5) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 461
(6) مريم: 18
(7) مريم: 26
(8) مريم: 58
(9) مريم: 61
(10) مريم: 69
(11) مريم: 75
(12) مريم: 78
(13) مريم: 85
(14) مريم: 87
(15) مريم: 88
(16) مريم: 91

يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً))[1] ((إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً))[2] ((سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً))[3].

فلاحظ هنا الدكتور البستاني ((انسحاب هذه (الرحمة) من خلال تواردها على كل من الشخصيات المذكورة من جانب ثم تكرار كلمة (الرحمن) دون كلمة (الله) أو كلمة (رب) مثل هذا التكرار سوف يُحضر في شعور المتلقي هذا المعنى المركز لمفهوم (الرحمة)... من هذا المثال الواضح إن النص القرآني الكريم عندما يتناول موضوعاً معيناً في سورةٍ فإن تناول هذا الموضوع سوف يحقق هدفاً فكرياً يستهدفه نص القرآن الكريم وهذا الهدف أو الغرض الذي يستهدفه إنما يتم وفق أسلوب تصاغ السورة الكريمة من خلاله))[4] إذن يرى أن هناك حالة من الترابط ما بين الموضوع وبين البناء الذي تُبنى في ضوئه السورة الكريمة. وعندما يأتي على التكرار من خلال التماثل والتضاد في عرض القصص القرآني يعرض مثلاً سورة الكهف إذ أن موضوعها الأساس هو (زينة الحياة الدنيا) وإن هذه السورة قد توكأت على العنصر القصصي في تجلية هذه الظاهرة من خلال تماثل القصص وتضادها من حيث (الزينة) فقصة أهل الكهف ونبذهم لزينة الحياة الدنيا يقابلها قصة صاحب المزرعتين وتثبته بهذه الزينة وكفر صاحب المزرعتين بقبال ذي القرنين الذي ملك الدنيا وزينتها ولكنه شكر. فهنا تضاد ما بين شخصيات أهل الكهف وشخصية صاحب المزرعتين وهناك تماثل ما بين شخصيات أهل الكهف وشخصية ذي القرنين من حيث الإيمان الا أنهما تتضادان مرة أخرى في ناحية الزينة[5] وهذا الأسلوب قد أقترن كذلك بآيات كررت مفهوم الزينة مثل: ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا))[6] ((وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))[7] والآية ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))[8].

(1) مريم: 92
(2) مريم: 93
(3) مريم: 96
(4) دراسات في علوم القرآن: 462 – 463
(5) ينظر: دراسات في علوم القرآن: 465
(6) الكهف: 7
(7) الكهف: 28
(8) الكهف: 46



هذا ما يخص الجانب الأول. أما ما يخص النماء المرافق للموضوع فيستشهد بقصة موسى (ع) مع قومه من خلال سورة الأعراف وكيف حصول النمو في الموضوعات والأفكار المعروضة في القصة. ففي الآية التي خاطب فيها موسى قومه قائلاً لهم: ((عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ))[1].

فهنا يرى المفسر أن هذا الخطاب تضمنَ ثلاث ظواهر هي التنبؤ بهلاك فرعون واستخلاف قوم موسى في الأرض وظاهرة ثالثة بقيت مفتوحة لم يتنبأ لها موسى وهي (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فلاحظ أن هذا الخطاب قد تنامى فصلاً وبدأت بعدهُ سلسلة أحداث حتى وصلت إلى هذه الآية الكريمة: ((فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ)) ثم تقول: ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا))[2].

إذن عبارة: ((عَسَى رَبُّكُمْ...)) قد تنامت وتطورت ليس في الكلام فقط لا، بل على صعيد الحدث والواقعة. فعبارة: ((فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ)) جاءت تنامياً وتطوراً لعبارة سابقة: ((عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ)) وجاءت عبارة: ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا)) تنامياً لعبارة: ((وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ))[3].

أما التجانس الحاصل في موضوعات السور القرآنية فيسوق البستاني شاهداً على ذلك من سورة البقرة وهي الآية التي ختم بها القسم الأول في ضوء تصنيفه لأقسام سورة البقرة وهي: ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**))[4].

فبهذه الآية ينتهي القسم ويجيء قسم جديد يتحدث عن موضوعٍ مغاير وهو ظاهرة ميلاد البشرية إلا أن التجانس بقي ظاهراً وواضحاً من خلال العبارة الأخيرة: ((**بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)) حيث أصبحت رابطاً ما بين القسمين من خلال مادة العلم (عليم) والتي بدورها ستنسحب على مجمل الأقصوصة التي تتحدث عن أدم (ع)

(1) الأعراف: 129
(2) الأعراف: 137
(3) الأعراف: 129
(4) البقرة: 29

بمطلعها: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً))[1] حيث تضمنت هذه الآية والآيات اللاحقة ظاهرة العلم بالمفردات الواردة (أعلم، تعلمون، علَّم، عليم، أعلم، عِلْم) فالتجانس ما بين الموضوعات واضح على الرغم من تعدد الأفكار إذ أن موضوع العلم في هذا المقطع قد مهد له المقطع الأسبق ((بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) وجعل الربط بين إبداع الله تعالى للسماوات والأرض من جانب وبين إبداعه للجنس البشري من جانب آخر ولا يفوت البستاني هنا من أن يتطرق إلى الأنماط أو الهياكل البنائية التي بنيت عليها الموضوعات القرآنية ويذكر منها ثلاثة أشكال أطلق عليها (الرحلة الافقية للسوره)[2] أي أن السورة تبدأ بموضوع ما وتُختم بالموضوع نفسه، وأما الوسط فيتناول موضوعات متنوعة ترتبط بعضها مع البعض الآخر وهذا ما نلاحظه في سورة المزمل حيث تبدأ السورة بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً))[3].

وبعد أن تقطع هذه السورة رحلتها تختتم بالموضوع ذاته: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ))[4].

وكذلك نجد ذلك في سورة الواقعة حيث بدأت السورة الكريمة بالحديث عن التقسيم الثلاثي (أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة، والسابقون) وانتهت بالتقسيم الثلاثي أيضاً ولكن وفق عرض في الختام يختلف عن المقدمة، وفي الوسط كان الحديث مفصلاً عن هذه الطبقات الثلاث.

أما النمط الآخر فهو ما أطلق عليه: الرحلة الطولية للسورة الكريمة وهو "أن تبدأ السورة بموضوع ما وتنتهي بموضوع آخر وهو ما يطبع بطبيعة الحال غالبية السورة الكريمة حيث تتشابك وتتنامى وتتلاقى خطوط البداية والوسط والنهاية موقفه هيكل محكم البناء[5] كما في سورة المطففين فبدايتها تتحدث عن التطفيف ونهايتها عن الموقع الأخروي للمؤمنين ولكن هناك رابطا مشتركاً من خلال المحور وهو اليوم الآخر وجزاءاته.

(1) البقرة: 30
(2) ينظر: دراسات في القرآن الكريم: 495- 508
(3) المزمل: 1 – 4
(4) المزمل: 20
(5) دراسات في علوم القرآن: 510



أما النمط الأخير وهو الرحلة أو البناء (المقطعي) وهو ان السورة القرآنية تعرض جملة من الموضوعات تصل بينها عبر محطة مشتركة تجتمع عندها الموضوعية مثل سورة (المرسلات) حيث تجتمع موضوعاتها عند الآية الكريمة: ((فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين))[1].

والأمر نفسه يمكن ملاحظته في سورة (الرحمن) بتعدد محطاتها المتمثلة في قوله تعالى: ((فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ))[2] والى حد ما في سورة القمر من خلال الآية الكريمة: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ))[3].

ويورد بعد ذلك أهمية ما ذهب إليه من تفسير القران الكريم على وفق هذه المنهجية الموضوعية البنائية بقوله ((ان الآيات القرآنية التي انتظمت عبر سور متنوعة بالشكل الذي نألفه في القران الكريم يظل مجسداً لهدف مهم جداً، هو ان قراءه السورة كاملة تترك أثرها عند المتلقي بنحو لا يحقق الأثر نفسه اذا قدر للمتلقي ان يقرا آية واحده فحسب، أو جملة آيات، من هنا ندرك أهمية السورة القرآنية الكريمة عندما تنتظم في هيكل خاص سواء أكان هذا الهيكل قصيراً مثل سورة النصر أو سورة الكوثر أو كان نصاً مطولاً كالسور الطوال مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء))[4].

من خلال ما تقدم يمكن للبحث أن يضع النقاط الآتية:

1- إن المؤلف في تفسيره قد تطابق الى حدٍ كبير مع أصحاب الرؤية الموضوعية البنيوية فهو يرى ما يرون من أن هناك موضوعاً رئيساً يشمل السجل الكامل للموضوعات الجزئية أو الثانوية ويربط هذه الموضوعات أفقياً وعمودياً[5]. وهذا ما يطلق عليه في النقد الموضوعاتي (الثيمة) وهي مرادفة للموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية، البؤرة والمركز وغير ذلك إذ تعني بدلالتها الاصطلاحية استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو

(1) المرسلات: 15
(2) الرحمن: 13
(3) القمر: 17
(4) دراسات في علوم القرآن الكريم: 519
(5) ينظر: المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، د. جميل حمداوي، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية للمعلومات (الانترنت) في موقع دنيا الرأي: 3

البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي وشبكاته التعبيرية توسيعاً واختصاراً والبحث عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقاً وانسجاماً وتنظيماً[1].

أما البنية في رأي البنائيين فترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية تحدد خصائص المجموعة والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معينة، أو أنه عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات وأن هذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها البعض من ناحية وعلى علاقتها بالكل من ناحيةٍ أخرى[2].

من هنا نرى أن الدكتور البستاني حاول قدر المستطاع أن يبرز هذه الموضوعات الرئيسة في كل سورة ويكتشف كذلك الموضوعات الثانوية في السورة نفسها ويسلط الأضواء على العلاقات القائمة والروابط المشتركة التي تجمعها وتشكل المحور الأساسي الذي ينبني عليه النص أي يعتمد على نقطة الوصول وهي المنهج المعتمد عند رواد هذا المنهج مثل (S.P Richard) وعبد الكريم حسن وهذه النقطة نقطة مشتركة يتم فيها اكتشاف البنى أو شبكات العلاقات بين الموضوعات ويرى البحث أن المفسر قد حالفه الحظ في بعضها لم يحالفه في البعض الآخر، إذ أنه كما يبدو قد عدَّ هذا المنهج مسبقاً لما رآه من انطباقه على بعض السور إلا أنه فوجيء بعدم انطباقه على بعض السور فحاول إقحام هذا المنهج على تلك السور وخاصةٍ في السور القصار في الجزء الثلاثين من القرآن في الجزء الخامس من التفسير البنائي للقرآن الكريم هذا من جانب، أما من جانبٍ آخر فإن بعض الدارسين على وفق هذه الرؤية قد استخدم منهجاً لم يعتمده المؤلف في عمله وخاصة عملية الإحصاء للمفردات التي تنتمي الى المجموعة اللغوية الواحدة لما لها من أهمية في معرفة الموضوع الذي يكون له الهيمنة على الموضوعات الأخرى، لان الاهتمام بموضوعٍ ما، لا بد أن يدفع الى الدوران في حومة المفردات التي تعبر عنه[3].

(1) المصدر نفسه
(2) نظرية البنائية: د. صلاح فضل: 123
(3) ينظر: الموضوعية البنيوية: 33



2- إدعى الدكتور البستاني الريادة له في هذا العمل وهو صادقٌ في مدعاه من حيث أنه فسر القرآن كاملاً على وفق رؤيته البنائية إلا أنه لم يكن محقاً فيما لو قَصَدَ أنه أول من تعامل مع النص القرآني وفق هذه الرؤية والحقيقة أن كل بناء متكامل وكل رؤية جديدة في غالب الأحيان لم تكن تأتي من فراغ وإنما سبقتها مقدمات وإرهاصات وتوالت عليها الرؤى والأفكار وبدأت بالنمو والأتساع حتى وصلت إلى حالة التكامل وهذا ينطبق على هذه الرؤية في التفسير وقد ذكر البحث ذلك من أن القدماء قد أشاروا إلى ذلك في تفاسيرهم ولكن بأسماء وعنوانات غير هذا الاسم والعنوان وذكروا حالة الترابط والانسجام والعلاقات الحاصلة ما بين أي القرآن الكريم وأوضح دليل على ذلك ما أطلق عليه الزركشي بعلم المناسبة وتبعه بعد ذلك السيوطي وآخرون، ويعود الفضل في وضع الخطوط العريضة لهذه الرؤية للدكتور محمد عبد الله دراز ولك أن تأخذ بعض المقاطع من كتابه (النبأ العظيم) نظرات جديدة في القرآن لترى هذه الخطوط فمثلاً يقول في وصفه السورة من سور القرآن ((كيف التأمت منها سلسلةٌ واحدة من الفكر تتلاحق فيها الفصول والحلقات، ونسقٌ واحدٌ من البيان تتعانق فيه الجمل والكلمات))[1].

ويقول في موضعٍ آخر ((هي بُنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول وأقيم على كل أصلٍ منها شعبٌ وفصول... فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة))[2] ومثل ذلك قوله ((كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأت أولاها لأخراها))[3]؟ إلى غير ذلك مما ذكر في هذا الكتاب. وكذلك هناك من دعا لهذه الرؤية ممن عاصره كالدكتور طه جابر العلواني في كتابه ((الوحدة البنائية في القرآن الكريم))،

(1) النبأ العظيم: 157
(2) المصدر نفسه: 155
(3) المصدر نفسه: 154

والدكتور أحمد عبادي في بحوثه التي تناولت البنائية في القرآن المجيد))[1] وبهذا يكون المفسر قد أنتفع مما قدمه من هو قبله ونسج عليه وطوَّره وأخرجه بهذه الكيفية التي هي عليها.

3- يتضح لنا مما عُرض أن الدكتور البستاني خطا خطوة في قراءة النص القرآني تُعتبر خطوة مطَّورة في فهم القرآن الكريم حاول جاهداً فيها بيان أوجه الإعجاز القرآني من خلال هذه الرؤية وهي تُعتبر من الاجتهادات المحمودة والمجتهد كما هو معلوم وكما ورد في الأثر إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

(1) بحوث منشورة في مجلة حراء، العدد 17، 2009



# الفصل الرابع

# الاتجاه التكاملي